Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بين علوم البلاغة الثلاثة ، التى تنقسم من خلال هذا التصور إلى قسمين وليس إلى ثلاثة ، دعنا من مبررات التقسيم القديم بين رعاية مقتضى الحال ، وإيراد المعنى الواحد بأكثر من طريقة وتزيين الأسلوب بمحسنات معنوية ولفظية ، فى القول تداخل واضح وعجز عن التصور الحق لبناء أسلوب أدبى ، فالبلاغة كلها مراعاة مقتضى الحال ، حتى وإن ابتذلت هذه العبارة لكثرة دورانها ، إنها الصدق الفنى ، بكل ما تحمل العبارة من رعاية حق المبدع والمتلقى وأصول التعبير الفنى ودوافعه الخاصة فى هذا العمل ، والعامة فى حاجة الإنسان إلى أن يتجاوز ذاته الفردية ويؤثر فى الآخرين . أما القسمان اللذان ينقسم إليهما التعبير فيعتمدان على وضع جدلى مستمر بين الضبط والتجاوز ، وهما معا غريزتان عقليتان وعادتان من عادات الاستعمال اللغوى ، وليس يتميز بهما الأسلوب الأدبى ، ولكن الأديب يتميز بتعديل النسب ، وإيجاد نسق بين كل من وسائل الضبط ووسائل التجاوز . فى أعماق كل منا رغبة فى أن يكون مبينا ، يأخذ مكانه بين الجماعة اللغوية من خلال قدرته على الانصياع لقوانينها التعبيرية ، وهذا يستدعى منه الضبط ، الخضوع لمطلق التعبير الموضوعى ، وهو بطبيعته ذونزعة تجريدية تقوم على العلاقات المنطقية بين أركان الكلام ، فى حدود الدلالة المعجمية أو الاجتماعية . وتعادل هذه النزعة إلى الإبانة بالخضوع إلى الانضباط والالتزام بموضوعية التعبير اللغوى ، نزعة مضادة أو مقابلة إلى الخصوصية والتميز ، تدعو المبدع إلى التجاوز بتحديد أفق خاص له يكتشفه بمعاناة مع الألفاظ والعلاقات اللغوية التى يغادر بها الإطار الاجتماعى ، ويصحبها فى سريرته لتعايشه فى تجربته ، لتعود بدورها إلى مكانها من الأسلوب ، وقد حملت من ألوان هذه المعايشة الخاصة ما هو نقيض طبيعى لدلالتها المنضبطة معجميًّا أو اجتماعيًّا . على هذا سيكون علم المعانى علما ضابطا حين يتعرض لفائدة الخبر ، وأغراضه وأضربه ، وحين يتعرض للجملة الإنشائية وأقسامها ، وحين يتكلم عن الإسناد وأحوال المسند والمسند إليه . ولكنه سيكون علما متجاوزا ، فيه طاقة لا تخفى من الذاتية : ذاتية الكاتب وذاتية التجربة وذاتية الموقف ، ومن ثم ذاتية الأسلوب ، حين يبدأ فى الاستثناء ، فيغادر فائدة الخبر إلى لازم الفائدة ، وأسباب وعلامات خروج الخبر عن مقتضى الظاهر ، وكذلك الأمر فى أقسام الإنشاء الطلبى ، بخروج الأمر عن معناه الأصلى لدواع خاصة ، وخروج النهى عن معناه الحقيق لقرائن ماثلة أو مفهومة ، ومحاولة اكتشاف معان تتجاوز حدود ما يطلب من الاستفهام رعاية لحق القرينة . وحين نلمح التجاوز ورفض الانضباط المراعى لموضوعية التعبير اللغوى سنجد ظلال